قَوْلُهُ تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾

دراسة نحوية بلاغية

م.د. إبراهيم يعقوب محمود الحسَّان

كلية الإمام الأعظم "رحمه الله" قسم اللغة العربية

الملخص

إن القرآن الكريم غني بأساليب الفنون، حافل بمزايا الجمال، وجامع لعلوم العربية والمعارف الإسلامية، فكان معين الفكر الاسلامي الذي لا ينضب، فلم يصل العلماء والباحثون إلى قرار محيطه،ولم يبلغوا قمم طوده، لما زخر من فنون الأقوال وبواعث الأفكار، فانفرد بسمو الأساليب ومعجز التراكيب.

ومن هنا تنوعت أدوات الوصول إلى أسراره، وفهم مرامي دلالاته، غير أن الإحاطة بالأبعاد النقدية واستقصاء الأنماط البلاغية، وتتبع مزاياه الأسلوبية وخصائصه التعبيرية على وجه الشمول والاستيعاب، أمر في غاية الصعوبة. يتطلب جهدا متضافرا لإنجاز العمل بشكل تام، ومن هذا المنطلق، جاءت دراستنا لقوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ موضوعا لبحثي هذا وجاء على قسمين: نحوي وبلاغي.

Abstract

The Koran for arts techniques, proven benefits of beauty, and a mosque for science Arab and Islamic knowledge, was given Islamic thought inexhaustible, why scientists and researchers up to the decision of his surroundings, and did not inform Todh tops, to teem of Arts words and motives of ideas, Fanfrd supremely methods and miraculous compositions.

Hence varied access to the tools of his secrets, and understand the objectives of the connotations, however, take the cash and dimensions survey rhetorical patterns, and keep track of its advantages stylistic and expressive characteristics on the face of inclusion and assimilation, it is very difficult. It requires a concerted effort to get the job done perfectly, and from this perspective, our study came to the verse the subject of my research and came on two parts: grammatical and rhetorical.

مُقَدِّمَة

الحمد لله فوق حمد الحامدين، والشكر له فوق شكر الشاكرين، والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين، أشرف الخلائق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين محمد الأمين وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم غني بأساليب الفنون، حافل بمزايا الجمال، وجامع لعلوم العربية والمعارف الإسلامية، فكان معين الفكر الاسلامي الذي لا ينضب، فلم يصل العلماء والباحثون إلى قرار محيطه،ولم يبلغوا قمم طوده، لما زخر من فنون الأقوال وبواعث الأفكار، فانفرد بسمو الأساليب ومعجز التراكيب.

ومن هنا تنوعت أدوات الوصول إلى أسراره، وفهم مرامي دلالاته، غير أن الإحاطة بالأبعاد النقدية واستقصاء الأنماط البلاغية، وتتبع مزاياه الأسلوبية وخصائصه التعبيرية على وجه الشمول والاستيعاب، أمر في غاية الصعوبة. يتطلب جهدا متضافرا لإنجاز العمل بشكل تام.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في حقل الدراسات القرآنية، فهي مازالت بحاجة إلى المزيد من الأبحاث ألأدبية القرآنية، وذلك للكشف عن القدرة الفنية والأداء التعبيري الأصيل في لغة القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق، جاءت دراستنا لقوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ موضوعا لبحثي هذا. وبحسب المادة المتوافرة جاء على قسمين:

الاول: للجانب النحوي ودرست فيه التوجيه النحوي للقراءات التي جاءت بها الاية الكريمة.

الثاني: للجانب البلاغي وبحثت فيه الاساليب البلاغية التي تضمنتها الاية الكريمة. ثم ختمت البحث بأهم ما توصلت اليه من نتائج.

وبعدُ، فإني أسأل الله البر الرحيم السداد والتوفيق، وحسبي أني اجتهدت وصبرت وما التوفيق إلا من عند الله عليه توكلت واليه أنيب.

المبحث الأول

الدراسة النحوية

المعلوم أنّ اللغة ليست إلاّ "مجموعة من القوانين الوضعيّة سواء أكانت على مستوى المفردات (الألفاظ) أم على مستوى التركيب (الجملة)"[١]، لذا تستمدّ الظواهر النحويّة من إقامة علاقات نحويّة بين الألفاظ في الجمل على وفق قوانين اللغة[٢]، وقد بيّن النحويّون القدماء في دراساتهم التحليليّة للألفاظ في الجمل والتراكيب أنّ لكلّ من هذه المفردات وظيفة نحويّة تتحدّد بانضمامها إلى غيرها من الألفاظ في نظام تركيبيّ معيّن، قالوا: إنّ "الحروف تدخل على الأفعال فتنقلها نحو قولك: ذهب، ومضى، فتخبرهما عمّا سلف، فإن اتّصلت هذه الأفعال بحروف الجزاء، نقلتها إلى ما لم يقع، نحو: إن جئتني أكرمتك. "[٣] وعرّفوا الاسم بأنّه " ما دلّ على معنى في نفسه دلالة مجرّدة عن الاقتران."[٤] فضلاً عن الإعراب الّذي تنبّهوا إلى أثره الأساسيّ في تحديد الوظيفة النحويّة في الأصل، يبحث في أمرين، هما: الكلمة أو المفردة، كالأسماء والأفعال والصفات، والجملة والتركيب.

وتمثّلت دلالة نحو المفردة بعلامات الإعراب والبناء في أواخر الألفاظ. أمّا نحو الجملة، فقد تمثّل في أنواعها من اسمية وفعليّة وشرطيّة وغير ذلك، كما تمثّل في وظيفتها، وارتباطها بما قبلها وبعدها[٥].

وقبل الولوج والدخول في الاية يجب اولا تعريف مصطلح السارق تعريفاً لغوياً أو تشريعياً، فالمعنى اللغوي للسارق هو كل من قبض عليه متلبساً بسرقة شيء ما مهما كان هذا الشيء ولا علاقة كون هذا السارق مضطر وبحاجة ماسة لها أم لا، أما المعنى الشرعي للسارق فهو الذي تم القبض عليه متلبساً بسرقة وثبت أنه يمتهن هذه الفعلة كحرفة يتكسب من وراءها؟[٦].

ويروى عن الأصمعي قوله: "كنت أقرأ: ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفورٌ رحيمٌ**﴾ وكان بجانبي أعرابي فقال: كلام من هذا ؟؟ فقلت: كلام الله. قال: أعد؛ فأعدت؛ فقال: ليس هذا كلام الله؛ فانتبهت فقرأت: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيمٌ؛ فقال: أصبت؛ فقلت: أ تقرأ القرآن ؟؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت ؟؟ فقال: يا هذا، عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع"[٧].

أولاً: توجيه قراءة الرفع:

في النظر الدقيق لقوله تعالى قوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ نجد أن اغلب القراء وجمهور النحويين قد قرأ قوله تعالى بالرفع قياساً على قول سيبويه: "وقد قرأ أناس ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ وهو من العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلّا القراءة بالرفع"[٨]، ويمكن توجيه قراءة الرفع على جعل النص في إعراب قوله تعالى[٩] ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ مبتدأ خبره مقدّرٌ قبله؛ تقديره: فيما يتلى عليكم: السّارق والسّارقة، وقوله ﴿**فاقطعوا**﴾

جملةٌ مفسّرةٌ لحكم السّارق والسّارقة. ويكون قوله ﴿**فاقطعوا**﴾ بياناً لذلك الحكم المقدّر، فما بعد الفاء مرتبطٌ بما قبلها، ولذلك أتى بها فيه؛ لأنّه هو المقصود. فلا ينتهض السبب بمجرده قرينة لرفع هذا بخلاف السياق فإنه يقع به التبيين والتعيين، أما التبيين ففي المجملات، وأما التعيين ففي المحتملات، وعليك باعتبار هذا في ألفاظ الكتاب والسنة والمحاورات تجد منه ما لا يمكنك حصره. ولو لم يأت بالفاء لتوهّم أنّه أجنبيٌّ، والكلام على هذا جملتان: الأولى: خبريّةٌ، والثّانية: إنشائية أمريّةٌ.

قال سيبويه: " كأنّه لمّا قال تعالى ﴿**سورةٌ أنزلناها وفرضناها**﴾ [سورة النور: ١] قال في الفرائض الزّانية والزّاني، أو الزّانية والزّاني في الفرائض، ثمّ قال ﴿**فاجلدوا**﴾ فجاء بالفعل بعد أن مضى فيهما الرّفع...، وكذلك ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ كأنّه قال: وفيما فرض الله عليكم السّارق والسّارقة، أو السّارق والسارقة فيما فرض عليكم، فإنّما دخلت هذه الأسماء بعد قصصٍ وأحاديث، ويحمل على نحوٍ من هذا ومثل ذلك ﴿**واللّذان يأتيانها منكم فآذوهما**﴾"[١٠].

ويرى المبرّد أنّ ﴿**الزّانية**﴾ مبتدأٌ، وخبره ﴿**فاجلدوا**﴾ اذ جوز دخول الفاء على الخبر؛ لأنّ الألف واللّام في ﴿**الزّانية**﴾ موصولة بمعنى "التي"، فهو مبتدأٌ موصولٌ، وصلته فعلٌ؛ والتّقدير: التي زنت والذي زنى فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما مئةً"[١١].

اما الفراء فيرى أن الجملة الطلبية الامرية في الاية خبرا عن المبتدأ، إذ يرى في قوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ أن اللفظين "مرفوعان بما عاد من ذكرهما[١٢]، وعلل اختيار الرفع في ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ حملا على الشرط؛ على قولنا: من سرق فاقطعوا يده، فـ"من" لا يكون رفعاً، ولو أردت سارقاً بعينه أو سارقةً بعينها كان النّصب وجه الكلام[١٣]. وذلك لأنه لم يشترط في المبتدأ أن يكون مشبها للشرط. فقد أجاز دخول الفاء في الخبر الطلبي إذا كان أمرا أو نهياً، حملا على قوله تعالى " ﴿**هذا فليذوقوه حميمٌ وغسّاقٌ**﴾ [سورة ص: ٥٧] رفعت الحميم والغسّاق بـــهذا مقدّماً ومؤخّراً؛ والمعنى: هذا حميمٌ وغسّاقٌ فليذوقوه. وإن شئت جعلته مستأنفاً، وجعلت الكلام قبله مكتفياً كأنّك قلت: هذا فليذوقوه، ثمّ قلت: منه حميمٌ ومنه غسّاقٌ"[١٤]. أي: إن ﴿**فليذوقوه**﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديره: هذا، و ﴿**حميمٌ**﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ؛ أي: هو حميمٌ.

فتوجيه الفراء والمبرد للآية يكون على معنى الشّرط، على تقدير: من زنى من الرّجال، أو زنت من النّساء، فاجلدوه ضرباً مئة جلدةٍ، فدخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشّرط[١٥].

ووجه الزّمخشريّ قراءة رفع ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ على الابتداء، كأنّه قيل: وفيما فرض عليكم السّارق والسّارقة؛ أي: حكمهما، ووجهٌ آخر؛ وهو أن يرتفعا بالابتداء، والخبر ﴿**فاقطعوا أيديهما**﴾ ودخول الفاء لتضمّنهما معنى الشّرط؛ لأنّ المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمّن معنى الشّرط[١٦].

أما الامام الرازي فقد وجه الاية توجيها آخر وذلك بتقدير خبر محذوف، بقوله: "اختلف النّحويّون في الرّفع في قوله ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾على وجوه: **الأوّل:** وهو قول الأخفش أنّ قوله: ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ مرفوعان بالابتداء، والخبر محذوفٌ، والتّقدير: فيما يتلى عليكم السّارق والسّارقة؛ أي: حكمهما كذا"[١٧]، ويقول أيضا: "إنّا إذا قلنا ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ مبتدأٌ، وخبره هو الذي نضمره، وهو قولنا: "فيما يتلى عليكم"، فحينئذٍ قد تمّت هذه الجملة بمبتدئها وخبرها: فبأيّ شيءٍ تتعلّق الفاء في قوله ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ فإن قال: الفاء تتعلّق بالفعل الذي دلّ عليه قوله ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ يعني: لأنّه إذا أتى بالسّرقة فاقطعوا يديه نقول: إذا احتملت في آخر الأمر إلى أن نقول ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ تقديره: من سرق، فاذكر هذا أوّلاً حتّى لا تحتاج إلى الإضمار الذي ذكرته"[١٨].

ثانياً: توجيه قراءة النصب:

ذكر ابن جني أن عيسى بن عمر الثقفي، وأبو رزين العقيلي، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة قرأوا بالنصب[١٩]، بقوله: " وهذا منصوب بفعل مضمر أيضاً؛ أي: اجلدوا الزانية والزاني"[٢٠]. فقد "قرأ عيسى بن عمر: ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ وكذلك: ﴿**الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحدٍ مّنهما**﴾ وهذه القراءة وإن كان القارئ بها مقدّماً لا أحبّ أن يقرأ بها؛ لأنّ الجماعة أولى بالإتباع"[٢١]. وقد ذكر الزمخشري أن قراءة عيسى بن عمر بالنّصب قد "فضّلها سيبويه على قراءة العامّة؛ لأجل الأمر؛ لأنّ (زيداً فاضربه) أحسن من (زيدٌ فاضربه)"[٢٢]. ويكون النّصب بفعلٍ مضمرٍ يفسّره العامل في سببيهما نحو: "زيداً فأكرم أخاه"؛ والتّقدير: فعاقبوا السّارق والسّارقة؛ تقدّره فعلاً من معناه، نحو: زيداً ضربت غلامه؛ أي: أهنت زيداً.

وقد رد الامام الرازي اختيار سيبويه قراءة النصب وردّ عليه قائلاً: "وأمّا القول الذي ذهب إليه سيبويه فليس بشيءٍ، ويدلّ عليه أنّه طعن في القرآن المنقول بالتّواتر عن الرّسول صلى الله عليه وسلّم وعن جميع الأمّة، وذلك باطلٌ قطعاً، فإن قال: لا أقول إنّ القراءة بالرّفع غير جائزةٍ، ولكني أقول: القراءة بالنّصب أولى، فنقول: وهذا أيضاً رديءٌ؛ لأنّ ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلّا عيسى بن عمر على قراءة الرّسول صلى الله عليه وسلم وجميع الأمّة في عهد الصّحابة والتّابعين أمرٌ منكرٌ، وكلامٌ مردودٌ"[٢٣].

المبحث الثاني

الدراسة البلاغية

إنّ البلاغة بوصفها نشاطًا فكريًا يرتبط بظاهرة إنسانيةٍ خطيرةٍ هي لازمة الكلام وأنساقه التي تعنى بصحة وسلامة ذلك الكلام المنتج شكلاً دلاليًا وجماليًا، ولهذا فقد شكلت البلاغة محورًا للعديد من المؤلفات التي امتدت مباحثها "من منطقة الصوت المفرد، إلى الكلمة المفردة، إلى التركيب المفيد، إلى التراكيب المتصلة أو المنفصلة"(٢٤).

إنّ اهتمام البلاغيين بتحليل الظاهرة الكلامية تحليلاً بلاغيًا يكشف عن مواطن الإبداع الفني دفعهم إلى أن يقدموا "دراسة موسعة حول المواصفات الأولية التي يجب أن تتوفر في الصياغة على مستوى الإفراد، ومستوى التركيب، وانطلقوا في ذلك من خلال مصطلحين من أخطر مصطلحاتهم هما (الفصاحة والبلاغة)، إذ هما شرطان مبدئيان للولوج إلى عالم الإبداع الأدبي"(٢٥)، فحددت الفصاحة باللفظ والبلاغة باللفظ والمعنى، وربط هذان المصطلحان بالخطاب الأدبي، لدورانهما بين طرفي الخطاب (المبدع، والمتلقي)، فكانت الفصاحة صفة الكلام بوصفه صفة لازمة لإمكانية التعبير الفصيح، وبين المتكلم الفصيح المنتج للكلام بتلازمية القوة والفعل(٢٦).

أما البلاغة فهي في عمومها قد اقتضت وجود شرطٍ أو إطارٍ إضافي ألا وهو مقتضى الحال، أو المقام، إذا استدعى حضور صفة البلاغة وجوب مطابقة النتاج الكلامي لما يناسبه من مقام، أو ما يقتضيه من مقتضيات الأحوال. من هنا بدأ القزويني تحديد مباحثه البلاغية في تلخيصه، بجعل الفصاحة والبلاغة مقدمة لباقي العلوم البلاغية، وعملية تمهيدية للغرض الفعلي، وهو "الإفادة من الإمكانات التركيبية في اللغة برصد الخواص الشكلية التي تصيب الجملة، ووصفها بدقّة، ثم الخروج من ذلك بما يصيب الصياغة والدلالة من تغير، أو انحراف بتعميم أو تخصيص، ومن وضوح أو تعقيد"(٢٧).

وإذا اردنا ان نحلل قوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ فإننا نبدأ بالفعل) فاقطعوا (وهو مشتق من الجذر اللغوي (ق، ط، ع) ودلالات هذا الجذر اللغوي تعني الفصل(٢٨)، وهذا يكون ما بين الحالة الماديّة والمعنويّة بحسب السياق؛ فهناك القطع الحسّي المادّي ﴿**إنّما جزاء الّذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض**﴾ وهناك القطع بمعنى الجرح ﴿**فلمّا سمعت بمكرهنّ أرسلت إليهنّ وأعتدت لهنّ متّكأً وآتت كلّ واحدةٍ منّهنّ سكّيناً وقالت اخرج عليهنّ فلمّا رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهنّ وقلن حاش للّه ما هـذا بشراً إن هـذا إلاّ ملكٌ كريمٌ**﴾ [يوسف: ٣١]، وهناك القطع بمعنى الفصل المعنوي والتجزئة للمسألة التي يراد تقطيعها ﴿**فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون**﴾ [المؤمنون: ٥٣].. فكلّ هذه المعاني تستمدّ دلالاتها

من الجذر اللغوي الواحد[٢٩]، وهذا المعنى المجرّد هو ذاته لجميع هذه الحالات، ولكنّ الفارق بين حالةٍ وأخرى يعود إلى السياق، أما لفظة (أيديهما) فلا يمكن حصر دلالاتها بمجرّد اليد الحسيّة المعروفة، فهي لمشتقّة من الجذر (ي، د، ي) وتعني وسيلة القوّة والسيطرة وآليّة الحركة[٣٠]، فإن كانت وفق سياقٍ قرآنيٍّ يتحدّث عن مسائل ماديّة، فهي حين ذلك تعني اليد الحسيّة المعروفة، وقد جاءت اللفظة بصيغة الجمع دليلا على احتواء هذه العبارة القرآنيّة على جميع المعاني المتعدّدة لليد[٣١]، من المعنى الحسّي وصولاً إلى المعنى المعنوي، فالمطلوب هو قطع أيدي السارق، وأيدي السارقة، وما يحدّد ماهيّة القطع، ودرجته، هو أن يكون جزاءً موافقاً للسرقة الحاصلة، ولماهيّة حدوثها ﴿**جزاء بما كسبا**﴾، وكلّ ذلك تركه الله تعالى مفتوحاً ليحدّد القاضي في كلّ زمانٍ ومكان حقيقة تطبيق هذا الحكم، بناءً على دلالات هذه العبارة القرآنيّة الواسعة كما رأينا..، والملاحظ على العبارة القرآنيّة ﴿**فاقطعوا أيديهما**﴾ أنها جاءت بصيغة مثنى الجمع، فكلمة (أيدي) فيها تبيّن لنا الجمع، والضمير (هما) يبيّن لنا المثنى، فالله تعالى لم يقل (فاقطعوا يديهما) بصيغة المثنى فقط، أو (فاقطعوا أيديهم) بصيغة الجمع فقط، إنّما يقول جلّ وعلا ﴿ **فاقطعوا أيديهما** ﴾ وفي هذا دليلٌ آخر على ضرورة تدبّر ما تحمله هذه العبارة من دلالات.

ومن المعاني البلاغية التي يحملها قوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ الإجمال، إذ إن هذه الآية الكريمة مجملة، فلا يذكر بظاهر صياغتها اللغويّة القدر المسروق الذي يبدأ عنده القطع، ولا يذكر فيها أيّ اليدين تقطع، هل اليمنى أم اليسرى، ولا يحدّد فيها مقدار ما يقطع من اليد، هل إلى الأصابع، أم إلى الكف، أم إلى الساعدين، أم إلى المرفقين، أم إلى المنكبين.. فقوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ هو قولٌ مجمل يحمل كلّ الاحتمالات التي تدور داخل إطار الصياغة اللغويّة لهذه العبارة القرآنيّة.

ويلحظ في قوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ ثلاث ظواهر بلاغية، هي:

أولا: التّقديم والتّأخير:

يدرس هذا الفن البلاغي في ظل أحوال الجملة من حيث خروج تراكيب أجزائها عن المعهود مع "مراعاة أحوال التأليف، بين المفردات والجمل حتى تكون أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٣٢].

وممن نظر في جمالية هذا الفن عبد القاهر الجرجاني فأوضح انه "باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بل إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم ينظر، فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[٣٣].

وعدّه أهل البلاغة دلالة على التمكن في الفصاحة والملكة في الكلام والتلعب به والتصرف فيه وانقياده لهم، والغرض منه ان يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله في النفوس أحسن موقع وأعذب مذاق.

قال سيبويه: "إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يهمّانهم ويعنيانهم"(٣٤)،

وللتقديم والتأخير بعد نفسي لدى المخاطب، ويظهر ذلك من مراعاة أسباب التقديم حيث يلقي التغيير في مواقع الكلمات وخروجها عن أصل الوضع ظلالهما على الجملة(٣٥). وهذه الظاهرة الحركية في تنظيم الجملة لون من الوان حرية الكلمة، وسبب ذلك هو ان الكلمة تحمل معها علامة تساعد على معرفة وظيفتها النحوية في الجملة(٣٦).

إن حمل الكلمة على التقديم يستلزم بالاعتبار تأخير أخرى وهذا التبادل بالمواقع يحمل معه معاني اضافيةً على المعنى الاصل الذي عليه بناء الجملة ومن هذا المنطلق نجد أن عبد القاهر يرى التقديم على وجهين. "تقديم يقال: إنه على نيّة التأخير، وذلك كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ اذا قدمته على المبتدأ··· وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على ان تنقل الشيء عن حكم الى حكم وتجعله بابا غير بابه، واعراباً غير اعرابه، وذلك أن تجيء الى أسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له.."(٣٧)، ويقوم التقديم على اساسين هما:

١. التقديم فيما له علاقة بالنحو وخروجه عن الاصل، وهو ما يمكن ان يسمى بتبادل المواقع.
٢. والتقديم فيما يستوجبه المعنى في السياق ولا أثر فيه للنظم.

وقد ذهب المفسرون في تقديم ﴿**والسّارق**﴾ على ﴿**والسّارقة**﴾ في قوله تعالى: ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ مذاهب شتى، إذ قالوا: ومن هذا النوع.. قوله تعالى ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾؛ فقد قدم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر، أي: تقديم المسند إليه المعرفة على المسند في جملة الخبر المثبت، وذكر أنّ التّقديم حينئذٍ يفيد تخصيص المسند إليه بالمسند أو تقوية الحكم وتأكيده في ذهن السّامع، وغير خافٍ على أحدٍ أنّ الإجمال بعد التّفصيل أوقع في النّفس، وأدعى إلى القبول؛ لأنّ النّفس تتشرّف إلى سماع تفصيل الشّيء إذا ذكر مجملاً، فإذا ألقي إليها مفصلاً كان آنس إليها من إلقائه دفعةً واحدةً. لكن مما لاشك فيه أن الله بدأ في الآية بقوله (السارق والسارقة) ولم يقل الذي يسرق والتي تسرق أو من يسرق ومن تسرق ولها دلالاتها الواضحة(٣٨).

ثانياً: الذكر والحذف:

الحذف أسلوبٌ بلاغيٌّ له دورٌ في بلاغة الكلام، ويسهم في ترسيخ مدارك الصّورة التي يقدّمها المبدع، ويعدّ أسلوب الحذف في العربيّة لوناً من ألوان بلاغتها، ومزيّةً من مزاياها

الأسلوبيّة: "لأنّ من شأن العرب الإيجاز، وتقليل الكثير إذا عرف معناه"[٣٩]، وقد عدّ ابن جنيٍّ الحذف من شجاعة العربيّة[٤٠]؛ وذلك لأنّه يشجّع على الكلام[٤١].

ويقع الحذف في مستويات الكلام المختلفة، فيقول ابن جنّيٍّ: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيءٌ من ذلك إلاّ عن دليلٍ عليه، وإلّا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته"[٤٢]. فهو بابٌ محبّبٌ للنفوس؛ لما فيه من استعمالٍ جميلٍ للتّعبير عن المقصود، بحسنٍ يضفيه سياق الكلام.

ومن هنا حاز حذف الخبر في الآية السّابقة مساحةً واسعةً في من مخيّلة سيبويه؛ ويبين عبد القاهر الجرجاني بلاغة الحذف بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن ··· وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد"[٤٣]. لما فيه من الدّقة والتّوسّع، وما يتضمّنه من إيحاءاتٍ جماليّةٍ تعمل على تحريك النّفس وتحفيزها، وتنشيط الخيال ودفعه للتّركيز على الفاعل دون الاكتراث بفعله، فهو مصدرٌ من مصادر القوّة والجمال، وله فائدةٌ جميلةٌ، تحفّز السّامعين على التّفكير والتأمّل، وتنشيط الأذهان؛ لاستخراج المحذوف، والاستدلال عليه من سياق الكلام العام، وإشغال السّامعين في البحث من خلال العبارة عن مفرداته، ممّا يسهم في تثبّت المعاني في النّفوس بسبب طول النّظر والبحث والتّنقير، والتعمّق الذي يؤكّد المعاني، ويثبّتها في النّفوس، ويشعرها باللذّة.

ثالثاً: التعريف والتنكير:

المعرفة ما دلّ على شيء بعينه، والنكرة ما دلّ على شيء لا بعينه"[٤٤] أي: إنّ التعريف يرتبط دلاليّاً بالوضوح والبيان، وحقيقة الشيء والإعلام، والتسمية والماهيّة. أمّا التنكير فيرتبط بالجهل بحقيقة الشيء، وعدم تعيينه أو تحديده، فهو ضدّ البيان والوضوح[٤٥].

وقد حاول النحويّون القدماء إيجاد فاصل بين الأسماء والمعارف والأسماء النكرات، فجعلوا الأداة (ال) واحدة من دلالات التعريف، إذ قال سيبويه: " وأمّا الألف واللام، فنحو الرجل، والفرس، والبعير، وما أشبه ذلك، وإنّما صار معرفة؛ لأنّك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمّته؛ لأنّك إذا قلت: مررت برجل، فإنّك إنّما زعمت أنّك مررت بواحد ممّن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب، وإذا أدخلت الألف واللام، فإنّما تذكر رجلاً قد عرفه"[٤٦].

وقد عني علماء النحو والبلاغة بموضوع التعريف والتنكير عناية بالغة، وذلك لأهمّيّة هذا الموضوع في تفسير الأحكام النحويّة، وأدرك المفسّرون المعاني الّتي تكمن وراء استعمال اللفظة القرآنيّة معرفة كانت أم نكرة،، وقد تكلم المفسرون على التّعريف بـــ"ال" ودلالاتها في القران الكريم، ومنها "ال" الداخلة في قوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ وهي الدّالة على الجنسيّة في الآية الكريمة؛ لأنّها

تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصد المبالغة، فيلاحظ من قوله تعالى ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ أنّه اقتصر صفة القطع على السّارق والسّارقة وحدهما دون غيرهما، فبالغ فيهما، ليثبتهما لهما، وينفيهما عن غيرهما وهي تضفي دلالة الكمال في الصّفة؛ أي: هم الكاملون في السّرقة البالغون المبلغ العظيم فيها.

فـ ﴿**والسّارق والسّارقة**﴾ اسم فاعل معرّف بال التعريف، له دلالاته في كتاب الله تعالى.. فالذي يجب إقامة الحدّ عليه هو من لبسته هذه الصفة، ولا يوجد أدنى شكٍّ ببراءته منها، حتى لا يقع الظلم حيث جاءت الكلمة على شكل صيغة اسم الفاعل (السارق والسارقة) والتي تعني أنها مهنة يتمّرس صاحبها فيها وأصبح بذلك محترفاً ومتعوداً على ذلك وأصبح معروفاً عنه هذه المهنة وهو المشتبه به حسب تعبيرات العصر الحالي وأصبح المقصود في القرآن هم الذين يحترفون السرقة من الرجال والنساء... وقد لاحظ بعض الفقهاء والباحثون أن كلمة السارق وكلمة السارقة وصفان لا فعلان والوصف لا يتحقق في الشخص إلا بالتكرار فلا يقال لمن ظهر منه الجود مرة إنه جواد ولا لمن وقع منه الكذب مرة أنه كذاب ولا للفاسق الذي لا يقول الحق أو المنافق الذي لا يخفى ما لا بيديه إذا صدق مرة إنه صادق أو صدوق إنما تقال هذه الأوصاف لمن يتكرر منه فعلها حتى تكون أسماً له وعنوانا يعرف به[٤٧].

الخاتمة

١. ثبت أنّ قرينة السياق كبرى القرائن بحق ، لان الاستدلال بها استدلال بروحية النص ، أما الاستدلال بالقرائن الأخرى فهو استدلال بحرفية النص .
٢. إنّ دقة القرآن الكريم تتمثل في اختيار ألفاظه ، وإنّ للسياق القرآني أثراً في تعليل ذلك الاختيار عند المفسّر بما يتناسب واختيار اللفظة مع التطابق في الصيغة والجنس او الاختلاف فيهما أو في احدهما .
٣. اثبت البحث أهمية المناسبة الدلالية بين المفردات القرآنية والآيات والسور في القرآن الكريم .
٤. بروز ظاهرة التوافق والتآلف بين التعابير القرآنية المختلفة للخروج بدلالة كلية جديدة لعلاقة المناسبة بين التعابير، وهذه الظاهرة سمة أسلوبية في الأمثل.

نتائج البحث

١. إنَّ المذهبَ القائلَ إن ﴿**وَالسَّارِقُ**﴾ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿**فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ ليسَ فيهِ حذفٌ ولا تقديرٌ ولا استئنافٌ، ومذهبُ سيبويهِ ومَنْ تَبِعَهُ يَلْزَمُهُ كلُّ هذهِ الأشياء التي جاءَتْ على خلافِ الأصلِ الذي لا يُصَارُ إليه إلا عندَ الضَّرُورَةِ، ولا ضرورةَ تَحُوجُ إلى ارتكابِ هذا إلا رعايةَ المعنى وكون الكلامِ مكوناً من جملتين لا جملةً واحدةً.
٢. إذا كانَ كلٌّ من مذهبِ الأخفشِ والفرَّاءِ لا وجهَ لهُ في القياسِ ولا سَنَدَ لَهُ في السَّماعِ فقد وَجَبَ أنْ يكونَ المُعَوَّلُ عليه مُذَهَبَ سيبويه والجمهورِ، وكان في استطاعةِ سيبويه أنْ يجعلَ الجملةَ المُقْتَرِنَةَ بالفاءِ خبراً من كلامٍ واحدٍ كالأَخْفَشِ والفرَّاءِ، فما الذي جَعَلَهُ يَجْعَلُ الكلامَ من جملتين؟ إنَّ الذي جعلَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ أنَّ المبتدأ ليسَ فيه إبْهامٌ لِيَتَضَمَّنَ الشَّرطَ، وهذا معنى من المعاني.
٣. المرادُ من الآيةِ الشَّرطُ والجزاءُ، ويدلُّ على ذلك وجوهٌ:

الأوَّلُ: أنَّهُ تعالى صرَّحَ بذلك في قولِهِ: ﴿ **جَزَآءً بِمَا كَسَبَا** ﴾. وهذا يدلُّ على أنَّ القَطْعَ جزاءٌ على فِعْلِ السَّرِقَةِ، فوجَبَ أن يَعُمَّ الجَزَاءُ لعُمومِ الشَّرطِ.

والثَّاني: أنَّ السَّرِقةَ جنايةٌ، والقَطْعُ عُقُوبةٌ، فربَطُ العُقُوبةِ بالجِنايةِ مُنَاسِبٌ، وذكرُ الحُكمِ عَقِيبَ الوَصْفِ المُنَاسبِ يدلُّ على أنَّ الوصْفَ عِلَّةٌ لذلكَ الحُكمِ.

الثَّالثُ: أنَّا إذا حملنا الآيَةَ على هذا الوجهِ كانتِ الآيةُ مُفِيدةً، ولوْ حملْنَاها على سَارِقٍ مُعَيَّنٍ صَارَتْ مُجْمَلَةً غيرَ مُفِيْدَةٍ، فالأوَّلُ أوْلى.

٤. إذا اخْتَرْنَا القراءةَ بالنَّصْبِ لم يَدُلَّ ذلك على أنَّ السَّرِقةَ عِلَّةٌ لوجُوبِ القَطْعِ، وإذا اخْتَرْنَا القِرَاءةَ بالرَّفْعِ أفادتِ الآيةُ هذا المَعْنَى، ثُمَّ إنَّ هذا المعنى مُتأكِّدٌ بقولهِ تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَسَبَا** ﴾، فثَبَتَ أنَّ القراءةَ بالرَّفْعِ أولَى.

٥. إِنَّ سيبويهِ قالَ: " وَهُم يُقَدِّمُونَ الأهَمَّ، والذي هم بِبَيَانه أعْنَى "، فالقِرَاءةُ بالرَّفْعِ تَقْتَضِي تقْديمَ ذِكْرِ كَوْنه سَارِقاً على ذِكْرِ وُجُوبِ القَطْعِ، وهذا يَقْتَضِي أن يكُونَ أكبرُ العِنَايَةِ مَصْرُوفاً إلى شَرْحِ ما يتعلَّق بِحَال السَّارِقِ مِنْ حَيْثُ إنَّه سَارِقٌ.

وأمَّا قراءةُ النَّصْبِ فإنَّها تَقْتَضِي أنْ تكُونَ العِنَايَةُ بِبَيانِ القَطْعِ أَتَمَّ من العِنايَةِ بكونِهِ سَارِقاً، ومَعْلُومٌ أنَّه لَيْسَ كذلك، فإنَّ المَقصُودَ في هذه الآيةِ تَقْبِيحُ السَّرِقَة، والمُبَالَغةُ في الزَّجْرِ عنها، فثبتَ أنَّ القراءَةَ بالرَّفْعِ هي المُتَعَيَّنَةُ.

هوامش البحث ومصادره:

(١) مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني: ١٤.
(٢) الدلالة اللغويّة عند العرب ١٩٤.
(٣) شرح المفصّل: ابن يعيش ١٩/١.
(٤) المقتضب: ٤٧/١.
(٥) الدلالة الزمنيّة في الجملة العربيّة: ٢٤، والمسائل العسكريّات في النحو العربيّ: ٣٤ – ٣٥.
(٦) ينظر: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني: ١٤.
(٧) الجامع لأحكام القرآن: ٤٥٢/٣.
(٨) الكتاب: ١٤٤/١.
(٩) إعراب القراءات السبع وعللها: ٢٩٥.
(١٠) الكتاب: ١٤٣/٢.
(١١) المقتضب: ٢٢٥/٢.
(١٢) معاني القرآن: ٢٤٤/٢.
(١٣) ينظر: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة: ٤٤٨.
(١٤) معاني القرآن للفراء: ٤١٠/٢.
(١٥) ينظر: جامع البيان: ١٣٩/١٧، الجامع لأحكام القرآن: ٤٥٢/٣.
(١٦) الكشاف: ٦٣١/١
(١٧) التّفسير الكبير: ١١/ ٣٥١.
(١٨) التّفسير الكبير: ٣٥٢/١١.
(١٩) المحتسب: ١٠٠/٢.
(٢٠) المحتسب: ١٠٠/٢.
(٢١) معاني القرآن وإعرابه: ١٧٢/٢.
(٢٢) الكشاف: ٦٣١/١.
(٢٣) التّفسير الكبير: ٣٥٢/١١.
(٢٤) البلاغة العربية قراءة أخرى: ٤.
(٢٥) المصدر نفسه: ٤١.
(٢٦) ينظر: المصدر نفسه:٤١–٤٢، والبلاغة العربية أصولها وامتداداتها: ٤١٨–٤٢٥.
(٢٧) البلاغة العربية قراءة أخرى: ٥٧.
(٢٨) معجم مقاييس اللغة: ٤٨٣/٢.
(٢٩) ينظر: معجم مفردات القران: ٢٣٤.
(٣٠) معجم مقاييس اللغة: ٢٨٣/٣.
(٣١) ينظر: معجم مفردات القران: ٣٢٢.
(٣٢) ينظر: التبيان في علم البيان: ٨٩.
(٣٣) ينظر: دلائل الاعجاز: ٨٣.

(٣٤) الكتاب: ٣٤/١.
(٣٥) ينظر: الاسس النفسية للبلاغة العربية/ ١١٢.
(٣٦) ينظر: نحو منهج جديد في البلاغة والنقد/ ٤١.
(٣٧) دلائل الاعجاز/ ٨٣.
(٣٨) دلائل الإعجاز: ٩٥-٩٦.
(٣٩) معاني القرآن للفراء: ٢/١.
(٤٠) الخصائص: ٣٦٢/٢.
(٤١) البرهان في علوم القرآن: ١٢٠/٣.
(٤٢) الخصائص: ٣٦٢/٢.
(٤٣) دلائل الإعجاز: ١١١، ١١٦.
(٤٤) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ١٣٣.
(٤٥) التعريف والتنكير في النحو العربي: ١٩.
(٤٦) الكتاب ١٨٤/١.
(٤٧) دلائل الإعجاز: ٩٥-٩٦.

المصادر والمراجع

١. **أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة:** د. أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة،١٩٦٩م.

٢. **الاسس النفسية للبلاغة العربية:** د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣. **إعراب القراءات السبع وعللها:** ابن خالويه، ضبط نصه وعلق عليه: أبو محمد الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية(بيروت- لبنان)، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.

٤. **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن:** السيد هاشم الحسيني البحراني، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط١ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م.

٥. **البرهان في علوم القرآن:** الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – سوريا ١٩٥٧.

٦. **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها:** د. محمد العمري، ب.ط، افريقيا الشرق، المغرب، بيروت، ١٩٩٩م.

٧. **البلاغة العربية قراءة أخرى:** د. محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، دار نوبار للطباعة. القاهرة. ١٩٩٧م.

٨. **التبيان في علم البيان:** الزملكاني، تحقيق د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٩. **التعريف والتنكير في النحو العربي:** د. بكري شيخ امين، ط٤، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٠. **التّفسير الكبير:** الرازي، ط١، طبعة جديدة مصحّحة، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (بيروت- لبنان)، ٢٠٠٦م.

١١. **الجامع البيان:** الطبري، تحقيق: سالم مصطفى البدري، ط١، دار الكتب العلميّة (بيروت- لبنان)، ٢٠٠٠م.

١٢. **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلميّة (بيروت- لبنان)، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣. **الخصائص:** ابن جني، تحقيق: محمد علي النّجار، ط٤، الهيئة المصريّة العامة للكتاب- القاهرة.

١٤. **الدلالة الزمنيّة في الجملة العربيّة:** عبد الفتاح لاشين، ط٤، المكتبة الاموية، ١٩٨٣م.

١٥. **دلائل الاعجاز:** عبد القاهر الجرجاني، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني- القاهرة، ودار المدني بجدّة، السعوديّة، ١٩٩٢م.

١٦. **شرح المفصّل:** ابن يعيش، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٩٧٢.

١٧. **كتاب سيبويه:** تحقيق وشرح: عبد السّلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي -القاهرة، ١٩٨٨م.

١٨. **الكشاف:** الزمخشري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م.

١٩. **المحتسب:** ابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، ١٣٨٦ه- ١٩٦٩م.

٢٠. **معاني القرآن:** الفراء، تحقيق: أحمد نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح شلبي، دار السرور- بيروت.

٢١. **معاني القرآن وإعرابه:** الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي،، ط٢، دار الحديث، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٢. **معجم مفردات القران:** الراغب الاصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ب.ط، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

٢٣. **معجم مقاييس اللغة:** بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ٣٩٢هـ-

١٩٧٢م.

٢٤. **مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني:** د. فتحي احمد عامر، ب.ط، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢٥. **المقتضب:** المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب (بيروت- لبنان).

٢٦. **نحو منهج جديد في البلاغة والنقد:** د. سناء حميد البياتي، ط١، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ليبيا، ١٩٩٨م.